المحاضرة الثامنة: الأسس النظرية للبحوث الكيفية

الأهداف التدريسية :

- ***تمكين الطالب من تكوين صورة واضحة حول الأسس النظرية للبحوث الكيفية***
- ***تمكين الطالب الالمام بتطبيقات البحوث الكيفية.***

المحتويات :

1- ***ابستيمولوجيا البحوث الكيفية***
2- ***تطبيقات البحوث الكيفية***
3- ***أسئلة للمناقشة***

إن أدوات و إجراءات البحث المتعارف عليها في منهجية البحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة ، و في علوم الإعلام و الاتصال بوصفها فرعا منها ليست معطيات منفصلة بذاتها ،وجدت في فراغ. بل إنها تمثل محصلة تصورات مختلفة لماهية البحث العلمي و منهجيته، و منشأ هذا الاختلاف مرتبط أشد الارتباط بتعدد الرؤى الفكرية و اختلاف مواقفها من هدف البحث وغايته ،و موقع الباحث ضمن البحث ، و أدوات القياس المستخدمة في إطاره ، فضلا عن اختلافها في النظر إلى عدد من القيم القاعدية في البحث كالموضوعية و الحياد و الصدق و الثبات .

يؤكد الكثير من الباحثين [1] تشابك الابستيمولوجيا و النظرية و أدوات البحث ،إذ يوجد بين ثنايا أي رؤية فكرية نظرية معينة للمعرفة ،و عليه فإن منهجية البحث تمثل انعكـــاسا لالتقاء النظرية بأدوات البحث لينتجا معا دليلا لخطة البحث بدء من صياغة الإشكالية مرورا بجمع البيانات و تحليلها وصولا إلى عرض النتائج على النحو الذي يصوره الشكل رقم (01)

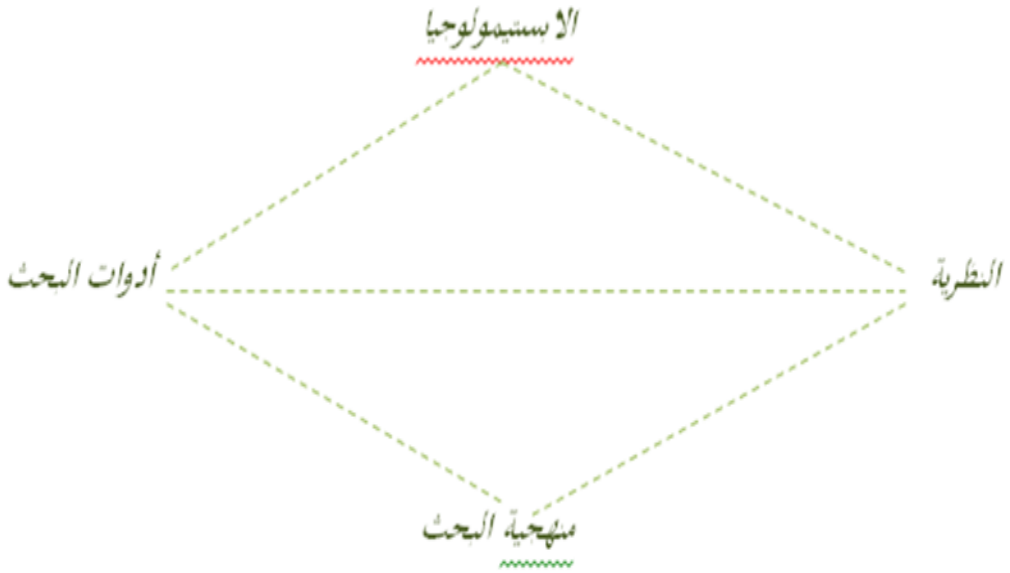

الشكل رقم(01)يوضح : منهجية البحث : الجسر الرابط بين النظرية و أدوات البحث [27]

[1] أنظر: Sharlene Nagy Hesse-Biber & Patricia Leavy :The practice of qualitative Research

1-ابستيمولوجيا البحوث الكيفية:

تتأسس البحوث الكيفية ابستمولوجيا على المنظور التأويلي ، هذا الأخير الذي يستمد تسميته من اعتقاد مركزي تلتف حوله تيارات فكرية عديدة ، مفاده أن التأويل هو أساس الفهم . و قد ظهر المنظور التأويلي "كاعتراض مباشر على نظرية المعرفة الوضعية و على تفسيرها أو تطبيقها لمفهوم الموضوعية "(شارلين هيس-بيبر،ص:54) حيث يقوم الفكر التأويلي بشكل أساسي على تأويل عمليات التفاعل بين الأفراد من جهة و تأويل المعني الاجتماعي الذي ينسبه هؤلاء الأفراد لتلك التفاعلات من جهة ثانية .فالمنظور التأويلي "لا يرى الظواهر الاجتماعية و الثقافية في حالها المنجز ، و صيغتها النهائية، بل تراها في طور البناء و التشكل . فالناس يصنعون واقعهم الاجتماعي انطلاقا من تفاعل بعضهم البعض ،من جهة ، و بينهم و بين واقعهم من جهة ثانية. فإدراك هذا الواقع لا يتم بدون وجهات نظر الأشخاص الفاعلين ، لذا لابد من استجلاء تأويلهم لأوضاعهم و للظواهر الاجتماعية"(نصر الدين العياضي،،2010،ص:07). و عليه يمكن القول أن المنظور التأويلي يؤمن أن واقع الظاهرة محل البحث يأخذ معناه أثناء عملية التفاعل بين عناصرها .

و تجدر الإشارة في هذا الإطار أن المعرفة الكيفية تمثل نتاجا لتنويعة كبيرة من النظريات التي اهتم روادها ببحث و دراسة الظاهرة الاجتماعية ، و أن هذه النظريات ، وإن اتفقت في اعتمادها مبدأ التأويل في الاقتراب من الظاهرة الاجتماعية ، إلا أنها تتبنى منطلقات مختلفة ، إذ يتأسس الاتجاه الكيفي على عدد من المدارس الفكرية ، مستمدا ثراه من اختلاف اهتماماتها في دراسة الظاهرة الاجتماعية .

2. تطبيقات البحوث الكيفية

تتنوع تطبيقات البحوث الكيفية و تتعدد مجالات استخدامها حسب طبيعة البحث و الهدف منه، و يمكن حصر أبرز هذه التطبيقات فيما يلي :

أ- استكشاف الظواهر:الالبحوث الكيفية وسيلة ناجعة لاستكشاف الظواهر بحيث :

. يمكن توظيف البحوث الكيفية باعتبارها وسيلة لجمع البيانات الأولية للدراسة.

. تساعد الملاحظة المباشرة للمجتمع المستهدف في التعرف على واقع الظاهرة عن كثب

. تسهم الملاحظة بالمشاركة في ضبط العلاقات القائمة بين عناصر الظاهرة بدقة

. تساعد البحوث الكيفية في التعرف على الأنماط السلوكية غير المعروفة سلفا

. تسهم البحوث الكيفية في التعرف على السلوكات و الرموز الجديدة و المستحدثة في المجتمعات المبحوثة و تساعد على تفسيرها

ب- دعم البحث الكمي : تسهم البحوث الكيفية في تطوير البحوث الكمية بحيث:

. توفر البحوث الكيفية المعلومات الأولية الضرورية للانطلاق في البحث الكمي

. تساعد البحوث الكيفية في ضبط المتغيرات الأساسية للبحث الكمي

. تساعد البحوث الكيفية في صياغة الفرضيات

. تسهم البحوث الكيفية في تحديد نوع المعلومات المطلوبة في البحث الكمي

. إمكانية استثمار نتائج البحوث الكيفية (عينات صغيرة)في إجراء بحوث كمية (عينة أكبر)سعيا لتعميم النتائج

ت- فهم و تحليل البيانات: تساعد البحوث الكيفية علة فهم و تحليل بيانات البحوث الكمية : بحيث ينادي الكثير من الباحثين بضرورة الاستفادة من التكامل المتاح بين البحوث الكمية و البحوث الكيفية هذه الأخيرة التي يمكن استثمارها في:

. تحليل و تفسير البيانات المتجمعة باستخدام أدوات و أساليب البحث الكمي

. تمكين الباحث من استيعاب العلاقات القائمة بين المتغيرات

. فتح آفاق بحثية جديدة انطلاقا من التحليل الكيفي للبيانات الكمية